

الكشاف

أن المشركين نزلوا بأحد يوم الأربعاء فاستنشار النبي A أصحابه ودعا عبد الله بن أبي ابن سلول ولم يدعه قط قبلها فاستشاره . فقال عبد الله وأكثر الأنصار : يا رسول الله أقم بالمدينة ولا تخرج إليهم فوالله ما خرجنا منها إلى عدو قط إلا أصاب منا ولا دخلها علينا إلا أصبنا منه فكيف وأنت فينا فدعهم فإن أقاموا بشر محبس وإن دخلوا قاتلهم الرجال في وجوههم ورماهم النساء والصبيان بالحجارة وإن رجعوا رجعوا خائبين وقال بعضهم : يا رسول الله اخرج بنا إلى هؤلاء الأكلب لا يرون أننا قد جينا عنهم . فقال A : إني قد رأيت في منامي بقرا مذبحه حولي فأولتها خيرا ورأيت في ذباب سيفي ثلما فأولته هزيمة ورأيت كأنني أدخلت يدي في درع حصينة فأولتها المدينة فإن رأيتم أن تقيموا بالمدينة وتدعوهم . فقال رجال من المسلمين قد فاتتهم بدر وأكرمهم الله بالشهادة يوم أحد : اخرج بنا إلى أعدائنا . فلم يزالوا به حتى دخل فلبس لأتمته . فلما رأوه قد لبس لأتمته ندموا وقالوا : بئسما صنعنا نشير على رسول الله والوحي يأتيه وقالوا : اصنع يا رسول الله ما رأيت فقال : لا ينبغي لنبي أن يلبس لأتمته فيضعها حتى يقاتل فخرج يوم الجمعة بعد صلاة الجمعة وأصبح بالشعب من أحد يوم السبت للنصف من شوال فمشى على رجليه فجعل يصف أصحابه للقتال كأنما يقوم بهم القدح . إن رأى صدرا خارجا قال : تأخر وكان نزوله في عدوة الوادي وجعل طهره وعسكره إلى أحد ؛ وأمر عبد الله بن جبير على الرماة وقال لهم : " انضحوا عنا بالنبل لا يأتونا من ورائنا " تبوء المؤمنون " تنزلهم . وقرأ عبد الله للمؤمنين بمعنى تسوي لهم وتهيء " مقاعد للقتال " مواطن ومواقف . وقد اتسع في قعد وقام حتى أجريا مجرى صار . واستعمل المقعد والمقام في معنى المكان . ومنه قوله تعالى : " في مقعد صدق " القمر : 55 ، " قبل أن تقوم من مقامك " النمل : 39 ، من مجلسك وموضع حكمك " والله سميع " لأقوالكم عليم بنياتكم وضما تركم " إذ همت " بدل من " وإذ غدوت " أو عمل فيه معنى " سميع عليم " . والطائفتان حيان من الأنصار : بنو سلمة من الخزرج وبنو الحارثة من الأوس وهما الجناحان . خرج رسول الله A في ألف وقيل : في تسعمائة وخمسين والمشركون في ثلاثة آلاف ووعدهم الفتح إن صبروا فانخزل عبد الله بن أبي بلثث الناس وقال : يا قوم علام نقتل أنفسنا وأولادنا ؟ فتبعهم عمرو بن حزم الأنصاري فقال : أنشدكم الله في نبيكم وأنفسكم فقال عبد الله : لو نعلم قتالا لاتبعناكم فهم الحيان باتعباع عبد الله فعصمهم الله فمضوا مع رسول الله A . وعن ابن عباس B : أضمروا أن يرجعوا فعزم الله لهم على الرشد فثبتوا . والظاهر أنها ما كانت إلا همة وحديث نفس وكما لا تخلو النفس عند الشدة من بعض الهلع ثم يردّها صاحبها إلى الثبات والصبر ويوطنها على احتمال

المكروه كما قال عمرو ابن الأطنابة : .

أقول لها إذا جشأت وجاشت ... مكانك تحمدي أو تستريحي .

حتى قال معاوية : عليكم بحفظ الشعر فقد كدت أضع رجلي في الركاب يوم صفين فما ثبت مني إلا قول عمرو ابن الأطنابة ولو كانت عزيمة لما ثبتت معها الولاية وإني تعالى يقول : " وإني وليهما " ويجوز أن راد : وإني ناصرهما ومتولي أمرهما فما لهما تفشلان ولا تتوكلان على إني فإن قلت فما معنى ما روي من قول بعضهم عند نزول الآية : وإني ما يسرنا أنا لم نهم بالذي هممنا به وقد أخبرنا إني بأنه ولينا ؟ . قلت : معنى ذلك فرط الاستبشار بما حصل لهم من الشرف بثناء إني وإنزاله فيهم آية ناطقة بصحة الولاية وأن تلك الهمة غير المأخوذ بها - لأنها لم تكن عن عزيمة وتصميم - كانت سببا لنزولهما . والفشل : الجبن والخور . وقرأ عبد إني : وإني وليهم كقوله " وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا " الحجرات : 9